الفصل الثانى
٢ - الشيخ محسن أحمد باروم
التربوى الرائد والأديب المثقّف

● وقد تنافست الأمم والشعوب فى عصرنا الحديث على الأخذ بأسباب القوة وبخاصة الشعوب الإسلامية التى ما لبثت تنفض عن نفسها غبار الضعف والتخلف، وطالعتنا أسماء لأعلام هذه النهضة فى تاريخنا الحديث والمعاصر فى سائر الأوطان الإسلامية من أقطاب الفكر والسياسة والدعوة والإعلام والتعليم ممن مجَّدوا العلم والعمل وجعلوا نبراسهم قول الله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥]

- وقد أدرك هؤلاء الرواد المؤمنون المؤسسون على مختلف الأصعدة قيمة الوقت والعلم والعمل وأدركوا (أن الحياة عقيدة وجهادُ) فلمعتْ أسماؤهم فى السّياسة وتأسيس الدول والممالك كموحد الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وبانى مصر الحديثة محمد على باشا ومؤسس دولة باكستان الإسلامية محمد على جناح وفيلسوفها وصاحب فكرتها وفلسفتها الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام فى العصر الحديث، ومحمد الخامس فى المغرب، وغيرهم فى مجال الفكر والتربية أعلام أفذاذ كذلك أمثال رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ على مبارك والإمام محمد عبده والعلامة محمد فريد وجدى والدكتور عبد الوهاب عزام وغيرهم فى مصر، والإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أعلام الإصلاح فى المملكة العربية السُّعودية.

- وفى ظل موحد الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - كانت النهضة التعليمية تسير بخطىً حثيثة، وكان التوسع فى

إرسال البعثات التعليمية إلى الخارج، وبخاصة إلى مصر أواسط القرن الرابع عشر الهجرى وبدايات الثلث الثانى من القرن العشرين الميلادى.

– ومن أعلام الأفواج الأولى التى ابتعثت لطلب العلم فى مصر مهبط أفئدة طالبى العلم والدارسين الواعدين وبخاصة فى تلك الحقبة من الزمن الجميل، وفى عاصمتها الزاخرة، وفى قلب القاهرة، حطَّ الطالب الحجازى السَّيد محسن أحمد باروم، الذى درس اللغة العربية وآدابها فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر والذى أمّ مراكز العلم والثقافة فى الجامعات المصرية والمنتديات الفكرية فى القاهرة فى ستينيات القرن الرابع عشر الهجرى وأربعينيات القرن العشرين الميلادية أواسطها حيث كانت القاهرة تموج بقمم الفكر والثقافة والسياسة والأدب والاقتصاد.

● وعاد الأستاذ محسن أحمد باروم إلى بلاده ليضطلع مع رفاقه فى مسؤلية النهضة الواعدة للملكة الفتية وليكون أحد جنودها ونجماً من مؤسسي نهضتها فى حقل التعليم والإعلام فى مواقع الإشراف والتخطيط والتنفيذ وشاهداً على مراحل اليقظة والإحياء ونشر نور العلم والتقدم والإزدهار فى ربوع المملكة العربية السُّعودية فى رحلة كفاح مجيدة فى خدمة أعز الأوطان الإسلامية موقعا وأطهرها أرضاً وأحبها إلى الله بلداً وبُقعةً.

– وقد اضطلع الرجل بدوره فى مواقع الإشراف والتخطيط والتنفيذ فى الحقل التربوى فى مختلف مراحل مستوياته قرابة خمسة وعشرين عاماً، فى رحلة مع الزمن فياضة بالعطاء والكفاح والثراء والنجاح قبل أن يستقيل ليفرغ للعمل الحر فى حقل الدعوة والإعلام والعمل العام مُنذ نحو سبعة وثلاثين عاما هجريا.

– وقد آثر الشيخ محسن أحمد باروم أن يعرض لمواقف من حياته وصوراً من أيامه وذكرياته فى كتاب (*)، وقد نُشرت فصول منها فى ملحق الأربعاء

(*) الكتاب اسمه. «فى موكب الزمن – ذكرياتٌ وشجونٌ تربوية» الطبعة الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) عن دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع بجدة – المملكة العربية السعودية.

بجريدة (المدينة) الغراء وفى مجلة (المعرفة التى تصدرها وزارة المعارف السعودية، وتلك الفصول ليست سيرة ذاتية سجَّل فيها قصته مع الحياة كما فعل كثير من الأعلام والساسة والأدباء، ولكنها - كما يقول -: «فصول انتقيتها من واقع الحياة التى عشناها لتصور ضروبًا من الذكريات التى طافت بذهنى عن أحداث مرَّت عَبْرَ طفولتى وصباى فحفرَتْ فى أعماق نفسى ضروبًا من الندبات والشروخ والناشط والمكاره رأيت أن أسجلها لتضئ معالم الطريق للسائرين من أبناء الأجيال الصاعدة فيه»[1].

● وبرغم تأكيد أديبنا السيد محسن باروم على كون ذكرياته وشجونه التربوية (فى موكب الزمن) - ليست تعبيرًا عن سيرته الذاتية إلا أننا لا يمكن أن ننفى عنها ذلك، وإن جاءت الذات مرتبطة بالموضوع والزمان والمكان وجاءت فصول هذا الكتاب التسعة عشر شهادة حيّة لرائد من رواد النهضة العلمية والتعليمية والاجتماعية فى المملكة العربية السُّعودية تُصوِّر فى أمانةٍ ودقة خطوات النهضة والتطور فى مجال العلم والتعلم والتربية والاجتماع والعمران من خلال الخبرة المباشرة لأحد صُنَّاعها وبُناتها من جيل الآباء الذين يضطلعون بالمسئولية فى المملكة الآن، حرصًا منهُ على دفع الأبناء والأحفاد: «إلى العمل من أجل بناء مستقبل عربى أفضل، يحقق للأمة العربية الكريمة ضُروبًا من العزة والكرامة والعمل والإنتاج فى ظل الظروف الدولية الحاضرة التى تتطلب من هذه الأمة كثيرًا من اليقظة والحذر والاهتمام بتطبيق العلم والتكنولوجيا لمصلحة شعوب الأمة العربية المعاصرة»[2].

- وتأتى هذه الذكريات فى أسلوبها أدبًا عاليا متسمةً بما يتَّسمُ به الأدب الخالد من جمال الأسلوب وعذوبة العبارة وسمو المعنى وجلال الغاية وقوة التشويق وتوفر الصدق الفنى وترابط الأحداث، الأمر الذى يحقق المتعة للعقل والوجدان معًا، ويسعد النفس والفؤاد، ويحفز للعطاء والجد والاجتهاد لمواجهة التحديات.

---

(١) المصدر السابق ص ٥.

(٢) السابق ص ٦.